

خطب الجهاد لابن نباتة المصري دراسة صرفية

م. م رقيه يوسف داخل

جامعة القادسية- كلية الآداب

تاريخ قبول البحث :
2026-2-23



تاريخ استلام البحث :
2026-2-13

الخلاصة:

اللغوية الأخرى كالنحو والبلاغة، ولما كان النحو والإعراب يقوم على معطيات الصرف، فإن النحاة مهدوا لأبواب الصرف في دراساتهم، أي أن التركيب اللغوي يقوم على لبنات الكلمة، وإن هذا المستوى من التحليل اللغوي مرتبط بالمعنى؛ لأنه يقوم على تحليل داخل النص، وبيان قدرة صاحب النص، ومدى ارتباط ألفاظه، وتوظيف حصيلته اللغوية في تحقيق غايته.

هو المستوى الثاني من مستويات التحليل اللغوي ويعني المستوى الصرفي بمبنى الكلمة، من حيث الوحدات والأحوال وتغيرات التي تطرأ على الكلمة من أفراد وتنثية وجمع، وتعريف وتنكير، وتذكير وتأنيث، ودلالات الفعل وزمنه، والاشتقاق، فيدور هذا المستوى حول أصل الكلمة وصيغتها، ووزنها، وهذا جل ما اهتم به القدماء ولم نجده تحت دراسة مستقلة بل مرتبط بالعلوم

الكلمات المفتاحية: خطب جهاد، ابن نباتة، دراسة صرفية.

Abstract

It is the second level of linguistic analysis and it means the morphological level with regard to the structure of the word, in terms of units, states and changes that occur to the word in terms of singular, dual and plural, definiteness and indefiniteness, masculine and feminine, the meanings of the verb and its tense, and derivation. This level revolves around the origin of the word and its form and weight. This is most of what the ancients were concerned with and we did not find it

under an independent study, but rather it is related to other linguistic sciences such as grammar and rhetoric. Since grammar and parsing are based on the data of morphology, the grammarians paved the way for the chapters of morphology in their studies, that is, the linguistic structure is based on the building blocks of the word, and this level of linguistic analysis is related to meaning, because it is based on an analysis within the text, and showing the ability of the author of the text, and the extent of the connection of his words, and employing his linguistic repertoire in achieving his goal.

Keywords: Jihad speeches, Ibn Nubata, morphological study.

مقدمة:

تعد الخطب الجهادية خطباً مصرية هدفها استنهاض الهمم وتشكيل الوعي القومي في لحظات الحرب، والكلمة تكون هي الرصاصة التي تُرمى في ميدان الحرب، لذا سعى الخطباء إلى التباري في صياغة العبارات المؤثرة بأدق الألفاظ وأقواها دلالة، ولم يكن هذا النوع من الخطب صرخات حماسية عابرة بل هي بناء هندسي رصين تلتحم فيه المعاني مع المباني لتشكل قوة روحية قادرة على استنهاض القوم، وابن نباته يمتلك ملكة شعرية وقدرة نثرية في صياغة خطب جهادية واكبت حركة الفتوحات، فهو يمثل قمة النثر الفني في العصر المملوكي وأختير علم الصرف لفهم بنية الكلمة لأن الكلمة في هذا النوع من الخطب ليست وعاء للمعنى بل هي وزن وهيئة تثير في النفس إيقاعاً خاصاً، فابن نباته لم يكن يلقي الكلام فقط بل يسبك الكلمات سبكاً.

فِعَال

تأتي صيغة فعّال وهي من صيغ المصادر قياساً وسماحاً وتقاس من (فَعَلَ) اللازم إذا أفادت دلالات معينة من مثل الامتناع والهيّاج وانتهاء الزمان والإباء أو المباحة وغيرها وأشار إليها اللغويون منهم سيبويه (1)، وجاءت هذه الصيغة من المزيد، إذ قال سيبويه: "وجاء فعّال على فاعلت كثيراً، كأنهم حذفوا الياء التي جاء بها أولئك في قيتال ونحوها" (2).

أما المبرد فيرى أن الذي يأتي على صيغة فعّال فهي من قبيل أسماء الأفعال لا المصادر، ومصدق ذلك ما جاء في المقتضب: "ويُفَعّ اسمُ الفعل على فعال نحو القتال والضراب" (3)، وصيغة فعّال متطورة من (فيعّال) بل عدت عند البعض قياسية لأنها من الفعل المزيد على زنة (فاعل) (4).

وجاءت صيغة فعّال في الخطبة ابن نباته المصري ودلت على الحث على القتال بقوله: "ونبذتم الوفاء والحفاظ" (5)، الحفاظ من مادة حفظ التي معناها "حفظت الشيء حفظاً، أي حَرَسْتُهُ، وَحَفِظْتُهُ أيضاً بمعنى استظهرته، وَالْحَفِظَةُ الملائكة الذين يَكْتُبُونَ أعمال بني آدم، وَالْمُحَافَظَةُ المراقبة، ويقال: إِنَّهُ لَذُو حِفَافٍ وذو مُحَافَظَةٍ، إذا كانت له أنفة" (6)، والحفاظ هو المحافظة على عهد سابق ومصدق ذلك قول ابن منظور: "المُحَافَظَةُ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمُحَامَاةُ عَلَى الْحَرَمِ وَمَنْعُهَا مِنَ الْعَدُوِّ... وَقِيلَ: الْمُحَافَظَةُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالتَّمَسُّكُ بِالْوَدِّ" (7)، ذم ابن نباته القوم بأنه طرحوا وألقوا بالعهد وذلك لقلّة اهتمامهم به واستعمل وزن فعّال للدلالة على امتناعهم من الوفاء بالعهد، والحفاظ هنا مصدر الفعل حافظ وتوحي هذه الصيغة بالمغالبة والاستقصاء في الحماية والعهد بمشقة وإصرار.

ومن أمثلة صيغة فعّال في خطبة ابن نباته قوله: "ومددتم لحكمه خواضع الرقاب" (8)، والرقاب بمعنى الانتصاب "الرَّاءُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاجِدٌ مُطَرَّدٌ، يَدُلُّ عَلَى انْتِصَابٍ لِمُرَاعَاةِ شَيْءٍ... وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِقَافُ الرَّقَبَةِ، لِأَنَّهَا مُنْتَصِبَةٌ، وَلِأَنَّ النَّاطِرَ لَا بُدَّ يَنْتَصِبُ عِنْدَ نَظَرِهِ" (9)، والرقاب جمع رَقَبَةٍ على زنة فَعَلَةٍ بفتح الفاء والعين معاً ولم يكن معتل العين ولا مضاعف (10)، فنلاحظ اشتراك هذه الصيغة بين الجموع والمصادر، أي مكنتم العدو من رقابكم وبسطتم لحكمه، وفي النص معنى الخضوع والتسليم للسلطة ومد الرقاب كناية عن الاستسلام واستعمل هنا الرقاب جمع تكسير مفردة رَقَبَةٍ وجمعها لإعطاء معنى الشمول أي الجميع بلا استثناء.

ومن شواهد صيغة فعّال في خطبة ابن نباته في فرض الجهاد قوله: "قد أنستكم سنة العدو فيكم فرض الجهاد، وأعدكم عدم البصائر محض الجلال، كأنكم النساء وهم الرجال، أو كأن دينهم الحق ودينكم الضلال"

(11) فنكرر وزن فَعَالٍ في النص أربعة مرات هي: (الْجَهَادُ، الْجَلَادُ، الرِّجَالُ، الضَّلَالُ)، وكلها جمع كثرة مفردة على وزن (فَعَلَ)، ووصفهم بأنهم نساء لعدم إرادتهم مع علمهم من تمكن العدو من أرضهم من أداء فرض الجهاد، ثم أنهم بتركهم الجهاد أعطوا العدو فرصة التمكن من أرضهم مع أنهم أصحاب الحق ودينهم الحق واجتماع ودين العدو هو الباطل؛ لأن العدو جاء بطريقة وأسلوب معين وهذه الطريقة أنستكم الجهاد وبعدتكم عنه، وأحرمتكم من أن تروا الحق فتتبعونه، وشدت مجادلة العدو افقدتم البصيرة، والجلاد هنا بمعنى المكابدة وفيه دلالة على القوة والصلابة، وشبههم بالنساء، وأن الأشياء التي كانت عندكم يقينية جعلكم العدو تشبون وتشكون أي خلطها وأصاب اليقين الذي في نفوسكم الشك.

فَعْلَان

ترد هذه صيغة سماعية وسمى سيبويه الباب التي تقع ضمنها هذه الصيغة المصدرية بـ "هذا باب بناء الأفعال التي هي أعمال تعداك إلى غيرك وتوقعها به ومصادر ها" (12)، ثم ذكر هذه الصيغة فقال: "وقد جاء بعض مصادر ما ذكرنا على فَعْلَانٍ، وذلك نحو: حرمة يحرمه حرمانا، ووجد الشيء يجده وجدانا" (13)، لم نلاحظ إشارة من سيبويه على دلالة محددة لهذه الصيغة، ولعل زيادة الألف والنون للدلالة على المبالغة.

ومن أمثلة هذه الصيغة في خطبة ابن نُباتة المصري فجاءت في قوله: "الحمد لله مُعَزٍّ من أطاعه بسُلْطَانِهِ، ومذل من عصاه بخذلانه" (14)، نلاحظ لفظتي (سلطانه، وخذلانه) على زنة فَعْلَانٍ، والسلطان من المادة سلط التي تعني "الْقُوَّةُ وَالْقَهْرُ، مِنْ ذَلِكَ السَّلَاطَةِ، مِنَ التَّسَلُّطِ وَهُوَ الْقَهْرُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ السُّلْطَانُ سُلْطَانًا، وَالسُّلْطَانُ: الْحُجَّةُ" (15)، أما الخذلان فهو عكس ذلك، أي أن الله ينصر من أطاعه بقوته، ويرفع نصرته عما عصاه وخالفه، وإن كلتا اللفظتين (سلطانه، وخذلانه) مصادر وإن استعمال الخذلان هنا في غاية الدقة؛ وذلك لأن الله لا يظلم أحداً بل يخذل العاصي وذلك بتكاليه على نفسه، وهذه إشارة إلى أن العزة ليست بالمال، إنما بالقرب من الله، وإن الذل ليس بالفقر إنما بالبعد عن المنهج الإلهي.

فَعَلَ

وهي من أبنية الثلاثية المجردة وترد مصدر الفعل اللازم والمتعدي، هذه صيغة لها دلالة إيحائية ومن المعروف أن المبنى الصرفي له أهمية في تحديد الدلالة، وذكر سيبويه موارد مجيئها وأبوابها التي تطرد فيها، إذ قال: "وقد جاء مصدر فَعَلَ يَقُولُ وفَعَلَ يَقُولُ على فَعَلَ، وذلك: حَلَبَهَا يَحْلِبُهَا حَلْبًا، وَطَرَدَهَا يَطْرُدُهَا طَرْدًا، وَسَرَقَ يَسْرِقُ سَرَقًا" (16)، ومن جاء بعده أكد أشتراك هذه الصيغة مع الصيغ الأخرى (17).

وقرر بعض الصرفيين أنها تطرد في كل فعل لازم على زنة (فَعَلَ)، وقصر ابن خالويه ما يأتي على هذه الصيغة في ستة أمثلة، إذ قال: "ليس في كلام العرب فَعَلَ فَعْلًا إِلَّا طَلَبَ طَلْبًا، وَرَقَصَ رَقْصًا، وَطَرَدَ طَرْدًا، وَحَلَبَ حَلْبًا، وَجَلَبَ جَلْبًا، وَرَقَصَ رَقْصًا، ستة أحرف جاء المصدر والماضي مفتوحين" (18)، ونجد أن صيغة (فَعَلَ) تمتاز بخفة صوتية عند النطق بها، وذلك لتوالي فتحتين على فائها وعينها فهي متكونة من ثلاثة مقاطع صوتية مفتوحة والفتحة من أخف الحركات ولا يتخلص منها إلا شذوذاً؛ لأن خفة النطق بها تعدل خفة حذفها، أي خفة السكون ولا يستعاض عن الخفيف بالخفيف (19).

ومثال صيغة (فَعَلَ) في خطبة الجهاد عند ابن نُباتة المصري قوله: "وحباً لللاقط بلا سَفَا، وقد أقامكم العز من أوطانكم على سَفَا" (20)، فلفظتي (سَفَا، وسَفَا) جاءت على وزن فَعَلَ أي صرتم تحبون أن تأخذون الشيء بلا تعب ومشقة وقد اتخذتم الشدة والقوة من بقاءكم في أوطانكم على رقة وقلة من ذلك، ويصف من يسعى إلى جمع شيء بطمع ولكن بلا وعي ثم يصف حالة الهوان المقنع بالعز وذلك لتركهم أوطانهم بحثاً عن الرفعة المزعومة ولكنهم في الحقيقة وقفوا على حافة الهلاك، واستعمال لفظة سَفَا ليوحي بالخطر الشديد.

أفعال

يرد هذا الوزن على وزن الفعل الصحيح والمعتل إلا وزن (فَعَلَ) ويقاس على نوعين من الأسماء الأول: أن يكون الاسم على (فَعُول) أو (فُعُول) معتل اللام بالواو في أغلب الجموع، والثاني: يطرد الجمع على أفعال في كل اسم ثلاثي سواء أطرده فيه (أَفْعُلُ) أم لم يطرد، فيقاس جمع (أفعال) على كل اسم ثلاثي على الأوزان الأتية وهي: (فَعُلُ)، (فَعُلُ)، (فَعُلُ)، (فَعُلُ)، (فَعُلُ)، (فَعُلُ)، (فَعُلُ)، (فَعُلُ)، واجتمع العلماء على جمع (فَعُلُ) على (أفعال) إذا كان اسماً صحيح العين⁽²¹⁾.

تكررت في خطبة الجهاد عند ابن نباتة المصري صيغة أفعال كما في قوله: "حتى أعز الله به الإيمان، وقهر دينه الأديان، وكسر الأوثان"⁽²²⁾، نلاحظ أن (الأديان، والأوثان) على زنة أفعال جمع تكسير لاسم ثلاثي (دين، وثن) معتل العين أو صحيحها، وجمع لفظة الأديان جمع تصغير لتقليل من شأنها أما الحق وفيها دلالة على الغلبة والشمول أما لفظة الأوثان فهي تعني إبطال العقائد الفاسدة وبذلك تذلل الطواغيت ونلاحظ في هذا النص ترتيب منطقي متدرج وهو الإعزاز وفيه دلالة على البناء الداخلي ثم القهر وفيه دلالة على الانتصار الخارجي، ثم الكسر والتطهير بشكل كامل من آثار الشرك.

ومن أمثلة صيغة أفعال قول ابن نباتة المصري: "ووقعتم خروق الذين بينكم بأمثالها، وأعذبتهم بالملق الألفاظ"⁽²³⁾، نلاحظ أن (أمثال، وألفاظ) على زنة أفعال جمع تكسير صحيحة العين، وفي النص عدل للمخاطبين على نقض العهود والتملق اللفظي أي جعلوا كلامهم حلواً لكنه مغلف بالنفاق فظاهره جميل وباطنه تملق ومصلحة، ودلالة الألفاظ هنا على مادة الكلام.

ومن شواهدا أيضاً قول ابن نباتة: "وأهل عزائم الكتاب المخاطبون فيه بأولي الألباب"⁽²⁴⁾، فنلاحظ أن ألباب على زنة أفعال جمع قلة ل لب (فعل) صحيح العين "ويكون على فعل فيلزمه أفعال لأنه في الوزن بمنزلة ما قبله وإن اختلفت الحركات وذلك قوله ضلع وأضلاع وعنب وأعناب وهذا قليل جدا"⁽²⁵⁾، وفيها تناس مع قوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (آل عمران: 190)، وأهل الكتاب وهم العلماء أو أصحاب الهمم العالية الذين يتمسكون بالقرآن الكريم وبالعهود المدونة ثم يضيفي صفة التشريف فيصفهم بأصحاب العقول الراجحة الذي يفهم الخطاب ويلتزم به ووزن أفعال (ألباب) هنا جاء لبيان التعدد.

فُعُول

يأتي هذا الوزن من الفعلين (فَعَلَ يَفْعُلُ) و (فَعُلَ يَفْعُلُ)، وهذا ما نفهمه من قول سيبويه: "وقد جاء بعض ما ذكرنا من هذه الأبنية على فعول، وذلك: لزمه يلزمه لزوماً، ونهكه ينهكه نهوكاً، ووردت وروداً، وجحدته جحوداً، شبهوه بجلوساً، وقعد يقعد قعوداً، وركن يركن ركوناً، لأن بناء الفعل واحد"⁽²⁶⁾، ففيه زيادة في الحرف ومصادق ذلك قول المبرد: "وتكون الزيادة فيكون على فُعُول وفَعَال نحو جلس جلوساً وقعد قعوداً ووقدت النار وقوداً وشكرته شكوراً وكفرته كفوراً"⁽²⁷⁾.

وذكر القدماء أن هذه الصيغة الصرفية تأتي من الفعل الثلاثي اللازم، إذ قال المبرد: "وزعم سيبويه أن الأكثر في الفعل الذي لا يتعدى إلى المفعول أن يأتي على فعول وإن كان الفعل هو الأصل فكان الواو إنما زيدت وغير للفصل بين المتعدي وغيره وذلك نحو جلست جلوساً ووقدت النار وقوداً"⁽²⁸⁾.

أما السيوطي فذكر مجيء هذا الوزن من ثلاثي اللازم سواء أكان صحيحاً أم معتلاً، فقال: "والفعل بالفتح لازماً (فُعُول) بضم الفاء سواء كان صحيحاً كركع ركوعاً وخرج خروجاً أو معتلاً كوقف وقوفاً وغابت

الشَّمْسُ غَيُوبًا وَدَنَى دَنَوًا وَمَضَى مَضِيًّا أَمْ مَضَاعِفًا كَمَرُ مَرُورًا" (29)، ويتكون هذا الوزن من ثلاثة مقاطع صوتية هي (ف / ع / و / ل / ن) أولها قصير مفتوح، وثانيهما طويل مفتوح، وآخر المقاطع قصير مغلق (30).

ومن أمثلة هذه الصيغة ما نجده في قول ابن نباتة: "ورقعتم خروق الدين بينكم بأمثالها" (31)، والخرق هو المَرْقُ، والمخروق الممزوق، ورقعتم خروق الدين بينكم بأمثالها، وأعذبتكم بالملق الألفاظ، ونبتتم الوفاء والجفا، ونكصتم عن عدو الله وعدوكم على الأعقاب، ومددتم لحكمه خواضع الرقاب" (32)، أي أنكم تسترون خلل الدين كالتى تستر الثوب الممزق، فأنتم دائمي الستر للدين المخروق فيما بينكم في سبيل عدم الخروج للجهاد، ثم أن الألفاظ التي تنزلون بها للآخر نقية عذبه، وعذبتكم الكلام أي جعلتم كلامكم نقي عذب رقيق عن طريق اختيار ألفاظ الملاق، وأنتم تركتم وطرحتم الوفاء وهذا ما يجعلكم غير حافظين للسر والأمانة، وثم أنكم تراجعتم والنكس بمعنى التراجع "يُقَالُ: نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ، إِذَا أَحْجَمَ عَنِ الشَّيْءِ خَوْفًا وَجُبْنًا" (33)، كأنه يريد رسم صورة لهم يهربون أمام أعداءهم وأعداء الله على الأعقاب وهذا التراجع هو عن خوف وجبن أي أنه وصفهم بأنهم جبنا، وأنكم لحكم عدوكم بأن سلمتم رقابكم له ممّا زادكم هذا مهانة وذل، ورقابكم هذه التي أعزها الله كان الأولى بها أن لا تخضع إلا لله فأخضعتموها لعدوكم.

وجاء هذا الوزن في خطبة ابن نباتة أيضا، إذ قال: "حتى لقد طبتم عن الحريم المستباح نفوسا، وطأطأتم للذل الصراح رؤوسا" (34)، نلاحظ أن (نُفُوسًا، ورُؤُوسًا) شكلا فاصلتين ممّا أعطى انسجاما للخطاب ولما فيه من تأثير على عقول المخاطبين فقد صور المعنى بأدق صورة لشدة الذل الذي أصابكم من العدو طابت نفوسكم، أي أن نفوسكم لم تعد تأنف وقت انتهاك المحارم، ممّا يوحي بالزهد في الشيء وهو أشد ما يوصف به موت الغيرة، وطأطأت رؤوسكم كناية عن الاستسلام والمهانة، واستعمال لفظتي (نُفُوسًا، ورُؤُوسًا)، أضاف قوة في الإيقاع الموسيقي.

فعل

إن علماء اللغة نظروا إلى هذا الوزن دلالية فعرّفها سيبويه: "الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه" (35)، والمرد بالفاعل اسم الفاعل.

وأول من أطلق عليها الصفة المشبهة باسم الفاعل هو السراج، إذ قال: "باب الأسماء التي عملت عمل الفعل ... والثاني الصفة المشبهة باسم الفاعل، مثل: حَسَنٌ وشديد وجميع ما جاز تذكره وتأنينه وتننيته وجمعه بالواو والنون وإدخال الألف واللام عليه" (36).

أما المبرد فذكرها في قوله: "وَإِنَّمَا تَعْمَلُ فِيمَا كَانَ مِنْ سَبَبِهَا وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ هَذَا حَسَنُ الْوَجْهِ وَكَثِيرُ الْمَالِ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ إِنَّمَا حَدَّثَهَا أَنْ تَقُولَ هَذَا رَجُلٌ حَسَنٌ وَجْهًا وَكَثِيرٌ مَالَهُ فَتَرْفَعُ مَا بَعْدَ حَسَنٍ وَكَثِيرٍ بِفَعْلِهِمَا لِأَنَّ الْحَسَنَ إِنَّمَا هُوَ لِلْوَجْهِ وَالْكَثْرَةُ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَالِ" (37)، ونلاحظ أن المبرد لم يختلف عن سيبويه في مفهوم الصفة المشبهة، وإن كلا من سيبويه والمبرد لم يقدم تعريفا لصفة المشبهة إنما اكتفيا بالحديث عنها من ناحية العمل النحوي.

وعرّفها ابن الحاجب بقوله: "ما اشتق من فعل لازم، لمن قام به، على معنى الثبوت قوله: (من فعل لازم)، أي من مَصْدَرٍ، قوله (لازم) يخرج اسمي الفاعل والمفعول المتعديين، قوله: (لمن قام به)، يخرج اسم المفعول اللازم المعدي بحرف الجر، كمعدول عنه، واسم الزمان والمكان والآلة، وقوله: (على معنى الثبوت)، أي الاستمرار وال لزوم، يخرج اسم الفاعل اللازم، كقائم وقاعد، فإنه مشتق من لازم لمن قام به، لكن على معنى الحدوث، ويخرج عنه نحو: ضامر وشازب وطالق، وإن كان بمعنى الثبوت، لأنه في الأصل

للحدث، وذلك لأنَّ صيغة الفاعل موضوعه للحدث، والحدث فيها أغلب، ولهذا اطرِد تحويل الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ إلى فاعل، كحَاسِن وضَائِق، عند قصد النص على الحدث" (38).

وإن التكوين الصوتي لهذه الصيغة هو (قصير مفتوح + طويل مفتوح + قصير مغلق) والتقطيع يكون ف — ع — ل — ن، وإن وقت النُطق فونيم الكسرة المشبعة (الياء) أطول من وقت نطق الكسرة (39).

وتكررت في خطبة ابن ثبّانة المصري، إذ قال: "ولكن قل نصركم إياه فقل لكم النصير، ونبذتم كتابه وراء ظهوركم فخذلكم الظهير، واعتصم بغير حبله فكبر عندكم الصغير ... وأهملتكم النفير إلى أعداء الله فاتصل إليكم منهم النفير وأتيتم في ناديكُم المنكر فأتاكم من الله النكير، ودعوتكم من دونه لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير، قال الله جل ثناؤه وقوله الحق المنير (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلاًها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) (آل عمران 165)" (40)، نلاحظ أن (النصير، الظهير، الصغير، النفير، النكير، العشير، المنير) كلها على زنة فَعِيل وفيها دلالة على من اتصف بهذه الصفات على وجهه الثبوت لأنهم تركوا ما أمرهم الله ولم يجاهدوا في سبيله، فصور ابن ثبّانة الوصف ولم يشر إلى معنى التجدد لأنه الهدف هو الوصف حال المخاطب فهم في حالة دائمة لهذه الصفات التي فشت بينهم.

اسم الفاعل

صيغة تختزل عنصرين هما عنصر الحدث، وعنصر الذات الفاعلة بالحدث، ونظرًا لهذين العنصرين نجد القيمة الدلالية لاسم الفاعل معنوية تسهم في التعرف على الصيغة فمتى ما وجدنا اسمًا يحمل هذه الصفات حكمنا عليه بالفاعلية، ويصاغ من الأصول الثلاثية المجردة على زنة فاعل (41)، أما ما زاد عليه فيكون على زنة المُضَارِع مع إبدال أوله ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر (42)، والذي يميز اسم الفاعل عن غيره من المشتقات دلالة على الحدث والحدث الفاعلة وأنه وصف مستمر في حال استمرار هيئة الموصوف وزائل في وصف آخر أي ليس ثبوته كثبوت الصفة المشبهة وهذه علامة فارقة له (43).

أما السيوطي فيرى أن اسم الفاعل وصف ثابت لصاحبه: "إن هَذَا الصِّبْغَ وَنَحْوَهَا أَسْمَاءُ فَاعِلِينَ قصد بها الثُّبُوتُ فعوملت مُعَامَلَةً الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ لَا أَنَّهَا صِفَاتٌ مُشَبَّهَةٌ" (44)، أي عومل اسم الفاعل معاملة الصفة المشبهة في ثبوت الوصف ولكنه ليس صفة مشبهة لأن فيه دلالة على الحدث.

وإن اسم الفاعل فيه سعة الدلالية أضافة لسعة اللفظ والمعنى، فيمكن أن يتجاوز اسم الفاعل إلى أبعد من دلالاته الوضعية ولا يمكن أن نعد هذا التجاوز من باب التناوب، وهذا ما أكده الدكتور محمود عكاشة في قوله: "ونرى أن اسم الفاعل قد يدل على الثبوت في مواطن وعلى الحدث في مواطن أخرى ... يجري مجرى الصفة المشبهة في الدلالة على الثبوت" (45).

فمثاله في قول ابن نباتة: "وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله بالقسط قائمًا، وللأمة عاصمًا، ولعلم الرشاد رافعًا، وإلى جهاد الأضداد مسارعًا، فلم يزل صلى الله عليه لمهجته باذلاً، وعن التوحيد وحوزته مناضلاً" (46)، نلاحظ أن (قائمًا، وعاصمًا، رافعًا، مسارعًا، باذلاً، مناضلاً)، أسماء فاعل على زنة فاعل من الثلاثي الأصول ما عدا (مسارعًا)، فإن أصوله غير ثلاثية وفيه دلالة على الحدث والتجدد فالنبي محمد (صل الله عليه وعلى آله) مستمر في إقامة العدل، وفي نصيحهم ومنعهم عن الخطأ والزلل، وفي إرشادهم إلى طريق الحق القويم، وبإذل ذلك بروحه وجسده وكل ما يملك، ومدافع عن الدين، ونلاحظ ابن ثبّانة صور المعنى بأدق صورته، فبقى النبي (صل الله عليه وعلى آله) طوال حياته يحثهم ويرشدهم إلى التوحيد لم ينقطع ذلك، وذكر جهاد الأضداد الذين صدوا عن ذكر الله ونجدهم مسارعين في إتيان بضد ما أراد الله، والمهجة تعني الروح

والجسد أي النفس "المهجة: خالصة النفس، وبذلك سمي اللبن الخالص من الماء مهجاناً وكذلك لبن ماهج وهو المَحْض الذي لم يشب بالماء" (47)، أي أن الرسول مضي بروحه وجسده خالص التضحية، وهو يناضل لأجل التوحيد وأن نكون عبده للإله الواحد الأحد وحده لا شريك لله، والمناضل عن الشيء هو المدافع عنه بكل ما يملك، أي مدافع عن حيز أهل الدين، حتى زاده الله به الدين عزة ورفعة ومنعاً.

أما اسم الفاعل من غير الثلاثي وهو لفظة (مُصارِعاً) أبدلت حرف مضارعه ميم مضمومة وكسر ما قبل الآخر (الراء) فصار على زنة (مُفاعِل) ونلاحظ حرف الزيادة في حرف واحد هو (الألف) ففعله (سارع)، وفيه دلالة على الثبوت فالنبي محمد (صل الله عليه وعلى آله) دائم المسارعة في صد عكس ما راد الله عز وجل.

ومن مواطن اسم الفاعل في خطبة ابن ثباته قوله: "لا ترقبون إلا يد غاشم تخطفكم أو ريح عدو هاجم تنسفكم كالغنم بلا راع، راحت رائحة السباع، فهي شريدة طريفة بكل قاع، والعدو يتملك بلادكم قاطناً" (48)، نلاحظ تكرار اسم الفاعل من الثلاثي الأصول فـ (غاشم، هاجم، راع، قاع، قاطناً)، فيه دلالة على الحدوث فيمكن تغيير صفتكم بالجهاد، وإبراز ذاتكم على ذات العدو الغاشم الذي استعمل قوته في خطفكم بغير حق، أو أن الريح شديدة القوة تنسفكم وتنقلكم من أماكنكم، فبرز هنا الموصوف سواء كان العدو أو المخاطب وهم أهل المدينة ووضح صورتهم الحالية التي هم غافلين عنها لسيطرة العدو ولشدة الذل الذي أصابهم، فيمكن لكم تغيير هذه الصفات بشن سيوفكم لقتال العدو وامتنال أمر الله وهو الجهاد دفعاً عن أرضكم، والنعم جمع أنعام كأنهم أنعام بل هم أضل لخصوهم للعدو، وهذه الأنعام ذهبت غنيمة للسباع فالسباع وجدتها عن طريق رائحة شمتها، فهي شريدة وطريفة في قاع الأرض.

وجاء في خطبة لابن ثباته "أيها الناس: إن الله أية بكم فهل أنتم سامعون، وندبكم إلى طاعته فهل أنتم إليها مسارعون، وزجركم عن معصيته فهل أنتم عنها راجعون، وساومكم بنفوسكم فهل لها أنتم بائعون، وجعل أثمانها جنته فهل أنتم إليها نازعون، وأنبت لكم من الحبة سبعمائة فهل أنتم لها زارعون، وأوعد من خالفه عذاب جهنم فما أنتم صانعون" (49)، نلاحظ أن الخطاب لعامة الناس لذا بدأ خطابهم بـ (أيها الناس) المحذوف حرف النداء؛ لأنزال المخاطب منزلة القريب، وخاطبهم بالجمع لا المفرد ممّا يزيد من همهم كونهم تجمعهم الغاية نفسها وهي مرضات الله عز وجل وتلبية نداءه، وطاعته، وجعل خطابهم بأسلوب الاستفهام؛ ليعطيهم حرية الاختيار، إذ إن الله نادهم لجهاد في سبيله، ونهاهم عن معصيته، واشترى منهم أنفسهم وجعل ثمن أنفسهم الجنة التي هم فيها سامدون، فخطاب الجماعة المنهي بالواو والنون يبعث فيهم الألفة والتآزر، إذ إن تجمعهم مرضات الله والجهاد في سبيله، فجعل تكرار نفس الأصوات في نهاية الفقرات دوي في أسماعهم تشجعهم إلى تلبية أمر الله، ولا سيما كافة الفقرات منتهية باسم الفاعل الذي يدل على أنهم هم المتصفون بالفعل المراد تحقيقه.

اسم المفعول

هو اسم مشتق من الفعل المبني للمجهول يصاغ من الثلاثي على زنة مفعول قياساً مطرداً، أما من غير الثلاثي فيصاغ على زنة مضارعه من إبدال حرف المضارع ميم مضمومة وفتح ما قبل الآخر لفظاً أو تقديرًا (50)، ودلالته على الحدث وذات الواقع عليه الفعل (ذات المفعول) (51)، ويبدو أن هذه الدلالة هي الفارقة بينه وبين اسم الفاعل فاسم المفعول يسلط الضوء على من وقع عليه الفعل (الحدث)، واسم الفاعل يهتم بفاعل الحدث، وهذا ما يشكل فارق دلالياً، ويتألف هذا الوزن من ثلاث مقاطع صوتية هي (قصير مغلق + طويل مفتوح + قصير مغلق) أي م - ف / ع - ل / ن (52).

وتكررت صيغة المفعول في خطبة ابن نباتة، إذ قال: "فالدعاء لذلك محبوب، والرجاء منكوب، والعمل بالرياء مشوب، والحقُّ لإضاعتكم إياه بالباطل مغلوب" ⁽⁵³⁾، نلاحظ أن (محبوب، منكوب، مشوب، مغلوب) كلها أسماء مفعول فيها دلالة على الحدث وأن هناك ذات وقع عليها الحدث، والتجدد في وقوع الحدث، إلا أنه يمكن تبدل والتغيير في المستقبل أي عند صفاء ضمائرهم، وعبر بالصيغة الاسمية دلالة على استمرار الحالة وتكرارها، فالدعاء محبوب والحجب هو "كُلُّ شيءٍ مَنَعَ شيئاً من شيءٍ فقد حَجَبَهُ حَجْباً" ⁽⁵⁴⁾، فالدعاء ممنوع وقد منعه اتفاق قلوبكم مع الأهواء، وأن الرجاء مردود مشوب لأن غير صافي لله بل مخلوط ومغشوش، وإن عملكم قد اختلط بالرياء لإرضاء الناس وغير خالص لله عز وجل، ولهذا قد أضعتم الحق وجعلتم الباطل هو المتغلب عليكم.

الخاتمة

- ركز ابن نباتة على الأفعال التي توحى بالحزم والسرعة، واستعمل أفعالاً متنوعة بين المجرد والمزيد ومن المزيد استعمال أفعال على صيغة أفعال، وفاعل مثل طاب وشدَّ وذلَّ أي منها الجوفاء والمضعفة وتتماز هذه الأفعال بصفاتها الصرفية أي من ناحية البنية الصرفية، وقوة وقوعها الصوتي مما يناسب طبيعة خطب الحرب.
- استعمال ابن نباتة المشتقات مثل اسم الفاعل في صيغ كثيرة وبهذا الاستعمال حول الفعل إلى صفة في ذات الشخص، واستعمل اسم المفعول لإثارة الحمية في نفوس المجاهدين وذلك بتذكيرهم بما فعله العدو.
- اعتمد على المصادر الصريحة مثل (النصر، والعز، والذل)، لأجل ترسيخ المفاهيم الكلية في أذهان القوم.
- فضل ابن نباتة استعمال جموع القلة مثل: (أفعل، وأفعال) لأنها توحى بالقوة والامتلاء والاتساع.

المصادر والمراجع

- ❖ أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، دكتورة وسيمة عبد المحسن المنصور، ذات السلاسل، ط1، 1404هـ-1984م: 198.
- ❖ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين، الخانجي القاهرة، ط1، 1408هـ-1987م.
- ❖ تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، 1407هـ-1987م.
- ❖ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ط2، القاهرة، 2011م.
- ❖ جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- ❖ الدلالة الصرفية في الصحيفة العلوية، هدى عبد الغني نايف، دار الولاة بيروت، لبنان، ط1، 1439هـ - 2018م.
- ❖ ديوان خطب ابن نباتة، عبد الرحيم بن محمد بن نباتة (ت 373هـ)، تحقيق ياسر محمد خير المقداد، الوعي الإسلامي، ط1، 1433هـ - 2012م.

- ❖ شرح الرضي لكافية ابن الحاجب, دراسة وتحقيق د. يحي بشير مصري, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, ط1, 1417هـ – 1996م.
- ❖ شرح المفصل جامع الفوائد, موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي (ت 643هـ), طبع عالم الكتب, بيروت, مكتبة المتنبّي, القاهرة, د ط, د ت.
- ❖ شرح جمل الزجاجة, أبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاد (ت 469هـ), تقديم دكتور علي بن توفيق الحمد, عالم الكتب الحديث, ط1, 2016م: 680.
- ❖ شرح خطب ابن نُباته, عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل (ت 374هـ), ويليه شرح خطب ولده أبي طاهر محمد, شرحها الشيخ العلامة طاهر بن صالح الجزائري (ت 1338 هـ), قدمه أحمد فريد المزيدي, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, 1428هـ, 2007م.
- ❖ الصرف الواضح, عبد الجبار علوان النائلة, نشر وطبع مديرية دار الكتب, جامعة الموصل, 1408هـ – 1988م.
- ❖ العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت 175هـ), تحقيق د. مهدي المخزومي, د. إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال, د ط, د ت.
- ❖ الكتاب كتاب سيبويه, أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ), تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون, طباعة مكتبة الخانجي, القاهرة, ط3, 1408هـ – 1988م.
- ❖ لسان العرب, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت 711هـ), دار صادر بيروت, ط3, 1414هـ.
- ❖ ما ليس في كلام العرب, الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ), تحقيق عبد الغفور عطار, مكة المكرمة, ط2, 1399هـ – 1979م: 86.
- ❖ مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية دراسة وصفية تاريخية, آمنة صالح الزعبي, مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر, عمان, ط1, 1417هـ – 1996م.
- ❖ معجم الجمع في اللغة العربية, أدما طرييه, مكتبة لبنان ناشرون بيروت, لبنان, ط1, 2003م.
- ❖ مقاييس اللغة, أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ), تحقيق عبد السلام محمد هارون, طبع دار الفكر, د ط, 1399هـ – 1979م.
- ❖ المقتضب, أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ), تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة, عالم الكتب بيروت, د. ط, د ت.
- ❖ الموجز في النحو, أبو بكر محمد السراج, تحقيق مصطفى الشويمي, وبن سالم دامرجي, مؤسسة بدران, بيروت, لبنان د. ط, د ت.
- ❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع, عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ), تحقيق عبد الحميد هنداي, المكتبة التوفيقية مصر, د. ط, د ت.

(¹) ينظر: الكتاب: 7 / 4 - 12.

(²) الكتاب: 81 / 4.

(³) المقتضب: 73 / 1.

(⁴) ينظر: أبنية المصدر في الشعر الجاهلي: 198.

(⁵) شرح خطب ابن نباتة: 160.

(⁶) تاج اللغة وصحاح العربية: 3 / 1172, ينظر: لسان العرب: 7 / 441.

جامعة تونس المنار – كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – مدرسة الدكتوراه
المؤتمر العلمي التاسع (البحث العلمي وأثره في تأصيل الهوية الثقافية 17-20 نيسان 2026)

- (7) لسان العرب: 7 / 442.
- (8) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (9) مقاييس اللغة: 2 / 427,
- (10) ينظر: الصرف الواضح: 256.
- (11) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (12) الكتاب: 4 / 5.
- (13) الكتاب: 4 / 8.
- (14) شرح خطب ابن نباتة: 159.
- (15) مقاييس اللغة: 3 / 95.
- (16) الكتاب: 4 / 6.
- (17) ينظر: المقتضب: 2 / 125,
- (18) ما ليس في كلام العرب: 86.
- (19) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء: 376, الدلالة الصرفية في الصحيفة العلوية: 111.
- (20) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (21) ينظر: معجم الجموع في اللغة العربية: 114.
- (22) شرح خطب ابن نباتة: 159.
- (23) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (24) شرح خطب ابن نباتة: 159.
- (25) المقتضب: 2 / 202,
- (26) الكتاب: 4 / 5-6.
- (27) المقتضب: 2 / 125.
- (28) المقتضب: 2 / 127.
- (29) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 3 / 323.
- (30) ينظر: مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية دراسة وصفية تاريخية, 41.
- (31) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (32) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (33) مقاييس اللغة: 5 / 477.
- (34) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (35) الكتاب: 1 / 194.
- (36) الموجز في النحو: 33.
- (37) المقتضب: 4 / 158.
- (38) شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: 2 / 745.
- (39) ينظر: مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية دراسة وصفية تاريخية: 52.
- (40) شرح خطب ابن نباتة: 161.
- (41) ينظر: شرح المفصل: 6 / 85.
- (42) ينظر: همع الهوامع: 3 / 327.

جامعة تونس المنار – كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – مدرسة الدكتوراه
المؤتمر العلمي التاسع (البحث العلمي وأثره في تأصيل الهوية الثقافية 17-20 نيسان 2026)

- (43) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية: 71.
- (44) همع الهوامع: 328 / 3.
- (45) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: 72.
- (46) شرح خطب ابن نباتة: 159.
- (47) جمهرة اللغة: 496 / 1.
- (48) شرح خطب ابن نباتة: 160.
- (49) ديوان خطب ابن نباتة: 299 - 300.
- (50) ينظر: شرح جمل الزجاجي: 680.
- (51) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: 74.
- (52) ينظر: مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية دراسة وصفية تاريخية: 124.
- (53) ديوان خطب ابن نباتة: 310.
- (54) العين: 86 / 3.

